مصطفى صادق الرافعي وإسهاماته في إثراء النقد العربي الحديث: دراسة وصفية تحليلية

أ. د. عبد الرحمن بغداد*
المركز الجامعي مغنية (الجزائر)
a.beghdad@cu-maghnia.dz

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2025 / 12 / 28	2025 / 12 / 30	2025 / 12 / 30

مُلَخَّصُ البَحث

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على إسهامات مصطفى صادق الرافعي (1880–1937) في تشكّل النقد العربي الحديث، من خلال مقاربة وصفية تحليلية تستقرئ مواقفه النقدية، وأدواته المنهجية، وخطابه اللغوي والفكري. وتنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن الرافعي لم يكن مجرد أديب محافظ في مواجهة تيارات التجديد، بل ناقدًا صاحب مشروع فكري متكامل، أسهم في بلورة رؤية نقدية أصيلة تستند إلى التراث العربي الإسلامي، مع وعي عميق بإشكالات الحداثة الوافدة.

وتتناول الدراسة أبرز مؤلفات الرافعي النقدية، وفي مقدمتها تحت راية القرآن، وعلى السفود، ومقالاته النقدية المتفرقة، محللةً موقفه من قضايا اللغة، والأدب، والذوق، والهوية، ومناقشته الحادة لأعلام عصره، ولا سيما سجاله مع طه حسين والعقاد. كما تبرز الدراسة الأسس الجمالية والفكرية التي قام عليها نقده، وفي مقدمتها الدفاع عن العربية بوصفها وعاءً حضاريًا وفكريًا، وربط الأدب بالقيم الأخلاقية والبعد الروحي.

وتخلص الدراسة إلى أن إسهام الرافعي في النقد العربي الحديث يتمثل في ترسيخ النقد القيمي واللغوي، وفي مقاومة النزعات التغريبية التي فصلت الأدب عن مرجعيته الثقافية، مع اعتماد أسلوب نقدي يجمع بين البلاغة، والحدة الجدلية، والعمق الفكري. وبذلك يحتل الرافعي موقعًا متميزًا في تاريخ النقد العربي الحديث، بوصفه ناقدًا حافظ على الأصالة، وأسهم في إثراء الجدل النقدي والفكري في عصر التحولات.

الكلماتالمفتاحية: مصطفى صادق الرافعي – النقد الأدبي – الذوق الجمالي – تحت راية القرآن – على السفود.

Abstract

This study aims to shed light on the contributions of Mustafa Sadiq Al-Rafi'i (1880–1937) to the development of modern Arabic literary criticism, through a descriptive-analytical approach that examines his critical positions, methodological tools, and linguistic and intellectual discourse. The study is based on the hypothesis that Al-Rafi'i was not merely a conservative writer resisting currents of modernization, but rather a critic with a comprehensive intellectual project who contributed to shaping an authentic critical vision rooted in Arab-Islamic heritage, while maintaining a profound awareness of the challenges posed by incoming modernity.

The study examines Al-Rafi'i's most prominent critical works, including *Under the Banner of the Qur'an* and *'Ala al-Sufud*, as well as his scattered critical articles, analyzing his stance on issues of language, literature, taste, and identity, and his rigorous debates with the leading figures

*- الاسم واللقب والبريد الإلكتروني: . أ. د. عبد الرحمن بغداد- a.beghdad@cu-maghnia.dz

of his era, particularly Taha Hussein and Al-'Aqqad. The study also highlights the aesthetic and intellectual foundations of his criticism, foremost among them his defense of the Arabic language as a civilizational and intellectual vessel, and his linking of literature with moral values and spiritual dimensions.

The study concludes that Al-Rafi'i's contribution to modern Arabic criticism lies in consolidating value-based and linguistic criticism, resisting Westernizing tendencies that detached literature from its cultural reference, and adopting a critical style that combines eloquence, argumentative sharpness, and intellectual depth. Accordingly, Al-Rafi'i occupies a distinguished position in the history of modern Arabic criticism as a critic who preserved authenticity and enriched the critical and intellectual debate during an era of profound transformation.

Key words: Mustafa Sadiq Al-Rafi'i, Literary Criticism, Aesthetic Taste, Under the Banner of the Qur'an, On the Shoulders

المقدمة

يُمثّل مصطفى صادق الرافعي نموذجًا فريدًا في التكوين الأدبي القائم على الجهد الذاتي، إذ لم يتلقَّ تعليمه ضمن مؤسسات تعليمية نظامية، ومع ذلك استطاع أن يبني مشروعًا أدبيًا متماسكًا ارتكز على عمق ثقافي ولغوي لافت. وقد اتّسم إنتاجه الأدبي بغلبة النثر، الذي جاء محمّلًا بنفَس شعري واضح، تجلّى في إيقاع عباراته وصوره، كما حضرت شذرات شعرية متناثرة انسجمت مع المناخ الفني العام لدواوينه ومقطوعاته. غير أنّ الظروف الصحية القاسية التي ألمّت به، إلى جانب تقلبات الحياة، أسهمت في تعثّر نشر عدد من أعماله، فظلّ بعضها حبيس المخطوط، ولم يُقدَّر له الظهور لا في حياته ولا بعد وفاته. وفي ذلك يقول: "اعتذرت عن عدم طبع كل كتبي لأني لا أملا السوق ويدي خالية لا أستطيع أن أملأها، وفرق بين عدم امتلاء اليد وبين ضيقها"[1].

وعلى الرغم مما وجد الرافعي في حياته من العوائق لكن إرادته كانت أقوى، فجاءت أعماله صدئ لقوته في الكتابة، وجهده في الدرس اللغوي والأدبي. كما نقلت لنا مزاجه وطبعه المضطرب الذي احتضنته جملة من المقالات التي نشرتها له الصحف. لكن تفاؤله الكبير بأعماله، كان يحجب عنه تلك الحالة العارضة من س ام وملل، لا سيما بعد أن عبر له أحدهم أن كتبه أكثر الكتب العربية وراجا وانتشارا وهناك الكثير من القراء من يشترون كتبه بأي ثمن وجدوها به[2].

وعلى سبيل الإجمال، يمكن الوقوف على الحالة العامة التي كان عليها مصطفى صادق الرافعي زمن تصنيفه لكتاباته، وذلك من خلال تقسيم نتاجه الفكري إلى محاور كبرى متمايزة من حيث الموضوع والغاية، على النحو الآتي :الكتابات اللغوية، والكتابات النقدية، والكتابات الأدبية، فضلًا عن الكتابات غير المطبوعة التي لم يُقدَّر لها النشر في حياته أو بعد وفاته. ويتيح هذا التصنيف قراءة أكثر انتظامًا لمشروعه الفكري، ويساعد على إبراز تنوّع اهتماماته وتكامل مكوّنات تجربته الإبداعية.

ويوسعنا القول إنّ الأعمال النقدية للرافعي، على وجه الخصوص، التي تستحضرها هذه الدراسة بحثًا وتوصيفًا، تفضي إلى قراءة جادّة ومتكاملة، تتيح الوقوف على خصائصها الأسلوبية وملامحها الفنية، واستجلاء ظروف تشكّلها وسياقات تقديمها. ومن شأن ذلك أن يسهم في رسم صورة شاملة لهذه المرحلة من

مسيرته الفكرية، وهي مرحلة كرس لها الرافعي قدرًا وافرًا من جهده، ومنحها جلّ وقته واهتمامه، بما يكشف عن اتساع أفق الكتابة والإسهام الفكري في تجربته النقدية.كما اقتضت معالجة هذه الأعمال إيراد بعض النصوص كاملة من مؤلفات الرافعي، دون اختصار، اتقاءً للإخلال بإطارها الدلالي العام، وحرصًا على تعميم الفائدة في الاطلاع على آثاره في صورة أكثر شمولًا. وقد انطلقت الدراسة في ذلك من قناعة مفادها أنّ هيكل البحث ينبع من داخله، وأنّ خطته تتشكّل وفق مقتضيات موضوعه ومدلولاته. وتمثيلًا لجهوده في النقد الأدبي العربي الحديث، تقف هذه الدراسة عند أبرز كتابين له في هذا المجال، وهما:

1. تحت راية القرآن أو المعركة بين القديم والجديد

الكتاب عبارة عن مقالات أدبية ونقدية، نشرها الرافعي تارة في "البيان" وتارة في "الزهراء" ومرة في "كوكب الشرق"، ما بين سنتي 1908 و1926م، وقد كانت مشغلة لكثير من الناس، إذ كان يأتي الرافعي من المدح والإشادة ما لم يتوقعه هو نفسه.

وبعد عمليات التهذيب والتصحيح التي طرأت على الكتاب وإضافة بعض الشروح والتعليقات على مضمونه، جاء الكتاب في الأول في ثمان وأربعين صفحة[3]، ثم ثلاث مائة صفحة[4]، حتى بلغ أربع مائة وخمسة وثلاثين صفحة[5]، وعندها تصدر الطبعة الأولى للكتاب في عام 1926 م وتصحبه موجة من الثناء والإشادة، إلى درجة نفوذ النسخ. يقول الرافعي في ذلك: "لعل نظرات الناس قد أصابتنا بعد ظهور الكتاب الحديد، وما لقي من التنويه والإقبال فقد طارت كل النسخ التي أخذها ولم يبق عندي شيء، والطلبات مقبلة وفي ظني أن هذا الكتاب سيروج أكثر من الإعجاز" [6].

ودافع تأليف الرافعي لهذا المصنف، هو أنه بعد صدور الطبعة الأولى لكتاب "في الشعر الجاهلي" للدكتور طه حسين عام 1926 م حاول الرافعي الرد عليه وعلى محاضراته ونقد آرائه في مسائل كثيرة لاسيما مسألة القديم والجديد، وقد أثبت ذلك في تنبيه الكتاب بقوله:" نلفت القراء إلى أننا في هذا الكتاب إنما نعمل على إسقاط فكرة خطرة، وإذا هي قامت اليوم بفلان الذي نعرفه فقد تكون غدا فيمن لا نعرفه، ونحن نرد على هذا وعلى هذا برة سواء، لا جهلنا من نجهله يلطف منه، ولا معرفتنا من نعرفه تبالغ فيه"[7]. ويستطرد قائلا في مقدمة الكتاب: "إني نظرت فإذا كل ما كنت أريد أن أقوله في هذه المقدمة قد كتبته في هذه المقالات، فهي لا تدع مسألة ولا تترك شبهة ولا تزال تأخذ بيد القارئ فتضعها على غلطات أصحابنا المحددين"[8]. فكان ذلك إنذار حرب لأساتذة الآداب العربية في الجامعة المصرية، قد أعلنه الرافعي الرجل الذي لا يخرس عن الحق أبدا.

عندها أحس الرافعي بنفسه القوية الصريحة وهي توحي له الكلمة الخالصة لتنفجر في وجه هؤلاء المحددين الذين حاولوا إرضاء أمتهم بآرائهم الهدامة مستغلين في ذلك استبدادهم في القول وقدرتهم على الكلام. وجاء رد الرافعي عليهم عنيفا قاسيا حتى كان يرتد عليه - في مسرات عديدة - التعب والإرهاق، فكسا أسلوبه نوعا منالقسوة والفظاظة حيث يعترف بقوله: " ثم نزعنا في أسلوب الكتاب إلى منحى بياني نريده على سياسة من الكلام بعينها، فإذا كان فيه من الشدة أو العنف أو القول المؤلم أو التهكم، فما ذلك أردنا، ولكنا كالذييصف الرجل الضال ليمنع المهتدي أن يضل، فما به زجر الأول بل عظة الثاني[9].

وكان الرافعي يَعِدُ نفسه دائما مسؤولا أمام الأمة فيما يؤلف ويصنف ها، فينبه أهلها ويحذرهم من أي انزلاق يتسلط بهم. ومن هنا، جاء العنوان "تحت راية القرآن أو المعركة بين القديم والجديد"، وهي تسمية تشير إلى محتوى الكتاب، أي مسألة القديم والحديث مع مقالات في الرد على طه حسين وكتابه "في الشعر الجاهلي". وهو في الكتاب لم يأت: "على استواء واحد في أسلوبه ففي المقالات الأولى منه تقرأ رأي الرافعي هادئا متزنا،... فإذا وصلت من الكتاب إلى قدر ما، رأيت أسلوبا وبيانا غير الذي كنت ترى،..."[10].

وقد بدأ الرافعي كتابه بتنبيه يستعرض فيه دافع التأليف مع إقراره بنوعية الأسلوب المستعمل فيه، ثم يتبع الكتاب مقدمة توضيحية يذكر فيها: "غلطات المحددين الذين يفتقرون إلى رجل فصيح بليغ يثبت مذهبهم، ويعلن أنهم مغرضون تكيف الأغراض عقولهم في المصلحة والمفسدة ويريدون أن يتبلوا الناس في دينهم وأخلاقهم ولغتهم"[11]. ثم تتابعت المقالات على اختلاف موضوعاتها، فمنها ما تناولت قضية المذهبين: القديم والجديد، وثانية عالجت " الجملة القرآنية"، وثالثة تطرقت إلى " تمصير اللغة"، ورابعة استهدفت مقالات في الأدب العربي والرد على كتاب طه حسين، ثم يختم الكتاب بمحضر مجلس النواب الذي يقر بموقف الرافعي حول كتاب "في الشعر الجاهلي" وصاحبه، وقد ثبت بالحرف الواحد.

وكان يجد الرافعي - أثناء كتابته لهاته المقالات - شيئا خفيفة من الاضطراب في العبارات، فكان يقومه ويصححه حتى صار الكتاب صقيلا بليغًا[12]، عندئذ أعلن لصديقه أبي رية أنه قد اختار هذا الكتاب اسمها فح موفقا وكان يخشى أن يسرق منه أو يقلدوه فيه وهو تحت راية القرآن / المعركة بين القديم والجديد[13].

وتبقى شهرة هذا المصنف أمرا مجمعة عليه في الأوساط النقدية على الخصوص، لأن الرافعي كان يتصور أن نقده لطه حسين عين الصواب، فجاءت سنة 1926 م وحملت معهاكتاب الدكتور "في الشعر الجاهلي" الذي وجد فيه الرافعي فرصة سانحة للانتقام، إذ ترجع الخصومة بين الرجلين حين غد العميد في زمرة المحددين الذين تطاولوا على اللغة وآدابها وتراثها من ناحية، ثم في حمله على الرافعي من خلال كتابه " رسائل الأحزان " من ناحية أخرى[14]. فأخذ ينشر المقالات تلو المقالات في جرائد عديدة حتى ظهر الكتاب تحت التسمية الحالية "تحت راية القرآن". وبدت تلك المعركة - في نظر الرافعي - وكأنها دفاع عن القرآن الكريم والإسلام واللغة العربية ككل، ولهذا جاءت مقالاته الرشيدة: "الجملة القرآنية"[15]، و"أستاذ الآداب والقرآن"[16]، و"صبيته على الإسلام"[17]، و"قد تبين الرشد من الغي"[18]،... إلخ، بمثابة مصادره الأساسية في التسليم بتلك الفكرة.

أما انتقاد الرافعي لطه حسين في هذا الكتاب، فقد بدا هادئا في بدايته، ثم لا يلبث أن حمل على الدكتور بلهجة بعيدة عن النقد الأدبي السليم، إذ يكفره تارة ويشتمه تارة أخرى، وهذا خروج عن مبدئه الذي تمنيا له. فكان يرميه بأقذع صور الهجاء وينقده نقدا مرا، بل كان أحيانا فظا غليظا حتى مع من حوله من الناس.

ويذكر صديقه العريان في هذا المجال قصة الرافعي مع أحد المفتشين الذي وجه إليه سؤالا في مكتبه في محكمة طنطا، فالتفت إلى العريان - وهو جالس بجواره - قائلا: "من فضلك، تو تي جوابه فإنه في حاجة إلى معلم مثلك"[19].

وفي مقابل ذلك، فما دَبَّجَه الرافعي في هذا الكتاب من مقالات وبحوث ما يكشف عن وعي سباق إلى مسائل الأدب والنقد، وابتكار وإبداع في طريقة العمل النثري، الصادر عن رأي سليم ومنطق صائب، بغية إقناع الجمهور والتأثير فيهم أداء وتعبيرا. وهذا ما بذهب إلى تأكيده محمد زرمان بقوله: " غير أن هذه المقالات النقدية لا تخلو - مع ذلك - من انتقادات موضوعية، ونظرات صائبة في الكتاب ومحتواه، وتكشف عن ثقافة واسعة، وتتبع للآراء المطروحة، ولكنها هي الأخرى مغمورة في دوامة القول العنيف والسخرية المرة[20].

وعلى الرغم من إثارة الرافعي لمسألة القديم والجديد في كتابه هذا، وتصريحه بأن لكل مذهب أنصار، إلا أننا لم نعثر على معايير نقدية ثابتة للتيارين، كما نعتقد أن معركة الرافعي مع طه حسين فيها الكثير من تصفيات حسابات قديمة بين " العميدين "، وإن تشابه تصورها وغايتهما ولكن اختلفت أساليبهما وطرفهما للوصول إلى المبتغى.

والحقيقة في هذه المشاجرات القلمية، تباين مترعها بين المفكرين، حين رست على صراع نقدي واختلاف مذهبي بين الذي يؤمن بالثقافة العربية من جهة، وبين الذي متعلق بالنهضة الأوروبية من جهة أخرى. ولعل ذلك، أشعر الرأي العام العربي، بما شاع عن الرافعي من أنه زعيم المحافظين، بل وأكثر من ذلك حين صرح سلامه موسي بأن الرافعي دفعه "مركب النقص" إلى الذود عن مقومات عقائدية وتراثية. ولكن حين نقرأ للرافعي، يتجلى لنا مدى استفادته بما اطلع عليه في أيامه من أنماط الحياة الاجتماعية وآدابها وأفكارها، والتي اصطبغ عليها – بعد ذلك - عقله ووجدانه وذوقه، هذا ما يجعلنا نسلم بأن الرافعي - رغم تحمسه للقدم - كان: " يريد جديدا معتدلا يحفظ على الغربية أصالتها، وعلى الأدب العربي روائعه وآثاره الجديدة بالبقاء، وعلى الدين حدوده" [21].

2. على السفود

إنَّ الكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات التي كتبها الرافعي بمجلة "العصور" في منتصف عام 1929 م. وهي في نقد الأديب عباس محمود العقاد، وقد نشرها كتابا في جوان من عام 1930 م تحت عنوان: " على السفود "، عاد عليه بشهرة واسعة ولفت نظر جلي.

وقد بدا الرافعي حريصا على إتمام الكتاب، حيث في 12 أوت 1929م يعلن بأنه سيصدر الكتاب وليس عليه اسمه[22].. ولكن بعد ذلك، لا يبالي بصدور كتابه أم لا إلى حد نفوره من الكتابة فيه: " السفود يطبع ببطء وأنا غير مبال به ظهر أم لم يظهر، ولم أعد أكتب شيئا في هذا الكتاب[23]. ليرتاح في آخر الأمر[24]"، حين يصرح بأن: "السفود تم طبعه وتغليفه، والذي يعني هو انتهاء طبعه[25]. على أنه في السنة الموالية، أي في 22 فيفري 1931 م يعلن لصديقه أبي رية أو حسرته على الأيام التي مضت وتم فيها كتاب مقالات السفود بجريدة "العصور"، وثاني تحن نفسه إلى إخراج جزء ثان من السفود بعد الإقبال الهائل عليه[26].ولعلّ الدافع إلى تأليف هذا الكتاب، في تقديرنا، يعود إلى جملة من الأسباب والدوافع المتداخلة، يمكن إجمالها في الآتي:

1. حرص الرافعي على الانتقام من العقاد، وعلى إسقاط كل مخالفيه لينصب نفسه الرجل الكفيل بمسؤوليات الأمة أدبية وفكريا وأخلاقية، إذ يقول بأن العقاد: جبار الكتابة، فنحن نريد أن نضع أنف هذا الجبار في الأرض مقدار ساعتين على الأقل، لأنه لم يتجرأ عليه أحد إلى الآن، والذين كتبوا عنه لم ينالوا منه

نيلاً [27]"، وحتى طه حسين أخذ ينافق له ويتملقه فهرب منه"[28]. عندها قرر الرافعي أن يضع العقاد في السفافيد، الموالي منها أفظع من السابق، وفي كل سفود جديد يحاول أن يحيط فيه بما يكون قد فاته في غيره. وقد اهتدى، بعد ذلك، إلى فكرة إغفال اسمه من المقالات أو قل من الكتاب لأن ذلك - كما يقول: "عين الحكمة لا خوف من العقاد ولا مبالاة به، لكن بمن هو فوقه... ثم نحن لا نريد المباهاة بكتاب ولكن نريد إظهار الحقيقة وفي إغفال الاسم قوة كبيرة لهذه الحقيقة مادام الكتاب متينة[29]. وقد جرب الرافعي الفكرة ذاتها قديمة حين كتب مقالا عن الشعراء في مجلة " الثريا " ولم يذكر اسمه، فكان لها دوي هائل شغل الناس، وليس كلهم عرفوا الاسم[30]. ولعل قدوته في ذلك الأمر، أستاذه ومعلمه الكبير محمد عبده الذي سلك - قبل الرافعي - نفس المسار ثناء رده على "هانوتو" في "المؤيد" واكتفت الجريدة بالإعلان في صدر الرد "الإمام من أئمة الإسلام، وعالم من علمائه الأعلام"[31]. وبعد ذلك، أصبح الكتاب مشغلة للناس، يبحثون عن السبيل إلى عرفة كاتبه، كما أجمعوا على أن نقد الرافعي للعقاد هو في محله مع بعض التحامل أحيانا.

2. أن صاحب "العصور" هو الذي اقترح على الرافعي وضع العقاد في هاته السفافيد، إذ أن المجلة ألفت هذا النوع من المقال النقدي، يقول صاحبها: " لا أدري كيف يمكن أن تصدر " العصور" بعد الآن خالية من سفود في كل عدد، وأقترح وضع العقاد في السفود فوضع في سفود غليظ يظهر في يوليو تتبعه سفافيد أخرى[32]. ويخيل إلينا أن صاحب " العصور " قد وقعت حاجة في نفسه هو الآخر جعلته يصور لنا كل هذه الكراهية والبغض لشخصية العقاد من جهة، ودفاعه وإخلاصه للرافعي وهو من كتب مقدمة "السفود" من جهة أخرى.

3. قصة الخلاف التي حدث بين الرافعي والعقاد حول "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" حين رأى العقاد أن الكتاب: "نموذج في البلاغة البدوية أو تسبيحة بالآيات القرآنية أو تحية يقرأها المسلم فيرتاح إليها ويقرأها غير المسلم فلا تزيده بالقرآن علما ولا تطرق من قلبه مكان الإيمان والتسليم، ولكن يقال عنه كتاب في إعجاز القرآن، وليس فيه شاهد واحد على معجزات الكلام، ولا هو فج فيه ذلك المنهج الذي أحسن فيه الجرجاني أيما إحسان، وأفاد به الآداب العربية أيما إفادة، فإنما الثناء على القرآن في كتاب تناهز صفحته الأربعمائة حسنة طيبة يكتب للرافعي أجرها وثوابها عند الله، ولكنها لا تكتب له في سجل المباحث والعلوم، ولا تعد من حسنات التفكير والاستقراء"[33]. فقد عاب العقاد على كتاب رافعنا خلوه من المنهج السليم وبعده عن الدراسات العلمية الحديثة، مما أغضب الرافعي فجعل جلد العقاد ينقبح في السفود.

4. أما السب الرابع، فيرجع إلى أن العقاد كذب الرافعي بأنه افترى قول سعد زغلول في تقريظه للكتاب "إعجاز القرآن" حين قال فيه: "إنه ترتيل من الترتيل أو قبس من نور الذكر الحكيم"[34]، وذلك بغرض أن يروج الرافعي به مؤلفه ويستحسنه الناس فيقبلون عليه.

بعد هذا كله، ورغم هذه الحملة الشرسة على شخصية العقاد إلا أن الرافعي أشاد بخصمه في مناسبات عدة وفي واحدة منها يقول: " أما العقاد فإني أكرهه، وأحترمه، أكرهه لأنه شديد الاعتداد بنفسه، وأحترمه لأنه أديب قد استملك أداة الأدب، وباحث قد استكمل عدة البحث، قصر عمره وجهده على القراءة والكتابة. فلا ينفك بين كتاب وقلم، وأسلوب العقاد أسلوب الأديب الحكيم، تبرز فيه الفكرة الدقيقة في

محتلي الفن الرفيع فيجمع بقوة تفكيره ودقة تعبيره طرفي البلاغة، والعقاد مخلص لفته، فلا يخرج للناس ما لا يرضاه، فهو لذلك أبعد الأدباء عن استغلال شهرته واستخدام إمضائه[35].

ولعل الرافعي قبل أن يضع العقاد على السفود، سبق وأن انتقد شعراء آخرين بدأها بنقد الشيخ عبد الله عفيفي عام 1929 م في مقالات ثلاث، الأولى والثانية في شهر أفريل، والثالثة في شهر ماي، على أن السبب يرجع إلى خلافات داخل قصر الملك فؤاد الذي كان الرافعي واحد من شعرائه. وانتهى الصراع بين الرجلين في جوان من عام 1929 م حيث يقول الرافعي: "أما الشعرور - الشيخ عبد الله عفيفي - فقد سقط ولا يمكن بسط الكلام في هذا"[36].

ثم تناول الرافعي - بعد ذلك - زكي مبارك في عام 1930م بالنقد الشديد متهما إياه بالجهل والتلفيق حيث – في اعتقاد الرافعي- أن زكي مبارك وقع في غلطات أثناء تصحيحه الكتاب " زهر الآداب "، وهي تدل على جهل الرجل وكان يرجو الرافعي أن يضربه ضربة قوية في إحدى سفافيده لولا علة التزلة الشعبية التي أصابته، إلى أن يضيف أن زكي مبارك حاول: " تسفيه رأي الرافعي في أنه مبتكر الرسائل الغرامية في الأدب العربي"[37].

وفي كل ذلك، كان أسلوبه لاذعا يجمع فيه بين السباب والشتم والتجريح، حتى أن أدباء عصره أيقنوا أنه لا يستطيع قلم غير قلم الرافعي أن ينشأ مثل هذا الأسلوب، رغم ما فيه بين ثناياه، من بعض عبارات الجمال ومعالم النقد العربي.

وقد أحدث هذا الكتاب دويا كبيرة في آفاق الأدب بسبب ما حمله من عبارات شديدة مجحفة، البعيدة عن النقد الفي الدقيق، بل جاء في أسلوب ساخر بجرح في انتقاداته لهولاء الشعراء: عبد الله عفيفي، وعباس محمود العقاد، وزكي مبارك، والذي غلب عليه النقد الفقهي أو اللغوي الذي يعني بنقد صياغة البيت وألفاظه، مع البحث عن السرقات الأدبية والأغلاط الإملائية والنحوية، ومدى الذوق الأدبي في البيت الواحد أو القصيدة.

هذا، وتوفية للفائدة، فإن الرافعي شعر بنوع من التسرع والندم في كتاباته هاته المقالات، مما جعله يعد صديقه أبا رية بحذف تلك العبارات الساقطة عندما يعيد طبع الكتاب: " على السفود ". وبذلك جاءت موضوعات تلك المصنفات النقدية صدى لنفسية الرافعي في جهارة ووضوح، ومرآة لعصره وملابسات أهله في أمانة وصدق. ولكن - في اعتقادنا أن الرافعي- كان يضع فيها ميزانا خاصا لمن يتعرض لهم بالنقد، ميزان خصومة وعداء حينا، وميزان عرض وتحليل وحكم حينا آخر، وحتى وإن كان الزمن قد دار، وأسلوب الكتابة قد تطور، ومفهوم النقد قد ارتفع إلى المستوى الموضوعي الجاد، إلا أن الرافعي بقي مخلصا لمنهجه.

الخاتمة

تبقى تمثل مؤلفات مصطفى صادق الرافعيالنقدية، وبخاصة كتابي »تحت راية القرآن «و«على السفود»، محطات أساسية في مساره النقدي والأدبي، إذ تعكس رؤيته الشاملة للأدب العربي الحديث وارتباطه الوثيق بالقيم الثقافية والدينية والاجتماعية. ففي »تحت راية القرآن «يبرز الرافعي أثر القرآن الكريم في صوغ الذوق الأدبي واللغة العربية، مركّزًا على البعد البلاغي والجمالي للنص القرآني، وموضحًا كيفية استلهام الأصالة الأدبية من المصادر الإسلامية. أما »على السفود «فيتناول التجربة الإنسانية في سياقها الاجتماعي والسياسي، مع مزج بين التأمل الأدبي والتحليل النقدي، مسلّطًا الضوء على دور

القيم الإنسانية والأخلاقية في صياغة النقد الأدبي. وتجمع المؤلفات بين العمق الفكري واللغة الرفيعة، ما يجعلها مرجعًا أساسياً لفهم أسلوب الرافعي، وامتداده في تطوير النقد الأدبي الحديث، وتوسيع نطاق الكتابة العربية بين الأصالة والتجديد.

إحالات البحث

1 محمود أبو رية، من رسائل الرافعي- ص 30.
2 ينظر: المرجع نفسه - ص 31.
3 أبو رية، من رسائل الرافعي - ص 150.
4 المرجع نفسه - ص 152.
5 المرجع نفسه - ص 153.
6 المرجع نفسه - ص 155.
7 الرافعي، تحت راية القرآن - ص 3.
8 المصدر نفسه - ص 4.
9 الرافعي، تحت راية القرآن - ص 3.
10 العريان، حياة الرافعي - ص 163.
11 مصطفى الجوزو، الرافعي رائد الرمزية المطلة على السوريالية - ص 81.
12 ينظر: محمود أبو رية، من رسائل الرافعي - ص 148 و149.
13 ينظر: المرجع نفسه - ص 151.
14 ينظر: مصطفى هدارة، بحوث في الأدب العربي الحديث - ص 366.
15 ينظر: الرافعي، تحت راية القرآن - ص 24.
16ينظر: المصدر نفسه - ص 144.
17 ينظر: المصدر نفسه - ص 195.
18 ينظر: المصدر نفسه - ص 213.
19العريان، حياة الرافعي - ص 38.
20 محمد زرمان، المقال في أدب الرافعي - ص 54.
21 المرجع نفسه - ص 55.
22 ينظر: محمود أبو رية، من وسائل الرافعي - ص 195.
23 المرجع نفسه ص 198.
24 في تاريخ 22 جوان 1930م
25المرجع نفسه - ص 207.
26 المرجع نفسه - ص 224.
27 المرجع نفسه - ص 193.
28 ينظر: المرجع نفسه - ص 193.
29المرجع نفسه - ص 195.
30 ينظر: المرجع نفسه - ص 195.
31 ينظر: المرجع نفسه - ص 195.
32 المرجع نفسه - ص 187.

33 عامر العقاد، معارك العقاد الأدبية - بيروت - منشورات المكتبة العصرية - ب. ط - ب. ت – ص10.

34 الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية – ص 8.

35 المرجع السابق - ص 14.

36 محمود أبو رية، من رسائل الرافعي - ص 186.

37 مصطفى الجوزو، الرافعي رائد الرمزية العربية المطلة على السوريالية - ص 98..

مراجع البحث

* **المصادر**:

1.مصطفى صادق الرافعي ، تحت راية القرآن -المكتبة العصرية - صيدا – بيروت– ط 1 – 2005.

2.مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي – بيروت– ط 8 – 2005.

3.مصطفى صادق الرافعي، على السفود – القاهرة – دار العصور –ب.ط– 1930.

* **المراجع**:

1.عامر العقاد، معارك العقاد الأدبية - بيروت - منشورات المكتبة العصرية - ب. ط - ب. ت.

2.العريان، حياة الرافعي – مطبعة الاستقامة – القاهرة – ط3 – 1955.

3.محمد زرمان، المقال في أدب الرافعي – باتنو– المعهد الوطني للتعليم العالي في اللغة والآداب العربية – 1987.

4.محمود أبو رية، من رسائل الرافعي- مصر - دار المعارف – ط2 – 1969.

5.مصطفى الجوزو، الرافعي رائد الرمزية العربية المطلة على السوريالية – بيروت – دار الأندلس – ط1 – 1981.

6.مصطفى هدارة، بحوث في الأدب العربي الحديث – بيروت – دار النهضة العربية للطباعة والنشر –ب.ط– 1994.